الفصل الثالث

هجرة الكفاءات وآثارها وسبل مواجهتها

محتوى المبحث الأول

- تمهيد
- نبذة تاريخية عن هجرة الكفاءات
- الهجرة قديما
- الهجرات العربية
- أسباب هجرة الكفاءات
- الآثار المترتبة على هجرة الكفاءات العربية
- مشكلات الشباب العربي في المهجر
- آثار هجرة الكفاءات الإفريقية على تطوير التعليم
- سبل مواجهة هجرة الكفاءات وعلاج آثارها

تمهيد:

تعد ظاهرة هجرة الكفاءات، أومايُطلقُ عليها هجرة العقول، أونزيف الأدمغة، أوهجرة الكوادر، أو تسرب الأدمغة، واحدة من أهم المشاكل التي تشكل حضوراً على المستوى العلمي والدولي، كما تعد هذه الظاهرة على رأس الهرم في المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والتنموية التي تعاني منها الدول النامية، ولا سيما الدول العربية ، ويقصد بهجرة الكفاءات انتقال الأفراد ذوي التأهيل، كخريجي التعليم العالي وما فوقه من حملة الماجستير والدكتوراه، فضلاً عن كبار المفكرين والعلماء والمبدعين والباحثين وحملة الشهادات الجامعية العلمية والتقنية والفنية، كالأطباء البشريين والبيطريين والمهندسين، والتكنولوجيين، وكذلك الأختصاصيين في علوم الأقتصاد والرياضيات وعلم الاجتماع والنفس والتربية والتعليم والآداب والفنون والزراعة، والكيمياء، والفيزياء، والجيولوجيا، وعظماء الفنانين وفحول الشعراء والكتّاب والمؤرخين والسياسيين والمخترعين، وأصحاب المهارات (Skills) والمواهب في كافة الميادين الأُخرى، على اختلاف تخصصاتهم،[140] ولكن ما هي الأسباب الكامنة وراء هذا النوع من الهجرة؟ كما تعني الهجرة من الناحية اللغوية الخروج من بلد لآخر، ويُسمَّى الشخص مهاجراً عندما يهاجر ليعيش في أرض أُخرى، كما تعني المغادرة إلى بلد ثانية طلباً للأمن والأمان والاستقرار والعدل والمساواة،

---

140. زين، الياس. 1982م. هجرة الأدمغة العربية. لبنان. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. صـــ13.

والإنصاف والحرية والعيش الكريم[141]. فالمهاجرون هم الأشخاص الذين حصلوا على وضع قانوني أوشرعي (Legal) يتميَّزُ على الأقل بشكلٍ من أشكال تصريح الإقامة الذي ينظم شروط عملهم، أما مفهوم الهجرة الحديث فيتعلَّقُ بظهور ما يُسمَّى بالدولة القومية وقانون الجنسية وقانون المواطنة[142](Nationality).

حيث إنَّ المواطنة في بلد قومية تمثل منح حق الإقامة غير القابلة للتحويل، ولكن إقامة غير المواطنين تخضع للشروط التي يحكمها قانون الهجرة، وعلى ذلك، فظهور الدولة القومية الحديثة قد جعل من الهجرة موضوعاً سياسياً واجتماعياً، حيث يصور سكانها كمجموعة متجانسة تشكل أمة تتميَّزُ بعرقٍ وثقافةٍ واحدةٍ بل، وعادات وتقاليد وأعراف وقيم اجتماعية يشترك فيها جميع أفرادها، مما يعد خرقاً وانتهاكاً للحقائق الواقعية المتمثّلة في تعدد الأعراق والجنسيات والثقافات والعادات والتقاليد. وإنَّ القيود القانونية والسياسية التي تفرضها الدولة المستقبلة على وجود الأجانب تعد موضوعاً سياسياً واجتماعياً، ويرجع هذا إلى أنَّ تلك القيود قدمتها وتعمل بها دول كان لمواطنيها وجود طويل الأمد، ومؤثّر في

---

141. الفضل، منذور. 2002م. إهدار الحريات الأكاديمية وهجرة العقول العربية. شبكة الأنترنت موقع حلبحة. صـــــ1.

142. المواطنة Nationality : هي الشعور بالإنتماء للجماعة وشعور الجماعة بجمعها وشعور كل فرد والجماعة بالروابط المتبادلة والمصالح المشتركة وهي على أربع مستويات هي :

روابط الدم والجوار والمواطنة وفلسفة الحياة.

شعور الفرد باستمرار الجماعة وما تقدمه من جهود .

شعور الفرد بالأرتباط للوطن وبالأنتماء للجماعة وأرتباط مستقبله بمستقبلها.

أندفاع هذا الشعور الفردي بعضه في بعض وشيوعه وأنتشاره بين أفراد الجماعة حتى تتجه نحو توحيد فكرها وشعورها وسلوكها: الحيحي، محمد لبيب. 1991م. الأسس الإجتماعية للتربية. ط10. القاهرة، مصر: دار النهضة العربية. صـــــ15

بلاد أُخرى غير بلادهم كالتأثير الذي حدث للجزائريين من تواجد الفرنسيين، وعلى كل حالٍ، فأنَّ سياسات الهجرة التي تمنح حرية التنقل بشكل انتقائي لأشخاص معينين تهدف إلى تحقيق مكاسب اقتصادية للدولة المضيفة أوالمستقبلة، ويمكن أنْ تُسبِّبَ هذه السياسات خسارة للدولة الفقيرة المرسلة بسبب خسارتها للقلة المتعلمة من ذوي الكفاءات كما يؤدي ذلك إلى زيادة عدم المساواه العالمية في مستويات المعيشة، والتي كانت ومازالت الدافع لهجرة هؤلاء الأفراد في المقام الأول وخير مثال على هذا التنافس[143] (Competition) على أصحاب الكفاءات هو استمرار تشغيل دول العالم المتقدم للتخصصات النادرة من دول العالم الثالث[144]. ونستطيع القول إنَّ البحث في قضايا الهجرة وأنتقال الأيدي العاملة في المنطقة العربية يعتبر واحداً من القضايا ذات الارتباط المباشر بالكثير من المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدتها المنطقة العربية خلال السنوات الماضية، ومن المهم القول إنَّ هذه المعطيات أوالآثار أوالعواقب، لم تكن مقتصرة على الدول ذات العلاقة المباشرة بعملية انتقال العمالة، أي الدول المصدِّرة والمستقبلة وإنما امتدت لتشمل النظام الإقليمي العربي والإفريقي[145] وما يهمنا في هذا الفصل هجرة الكوادر المؤهلة والكفاءات،

---

143. التنافس Competition: من أهم الظواهر النفسية في التفاعل الإجتماعي بين الأفراد بعضهم وبعض وخاصتاً بين زملاء الجماعة الواحد أو بين جماعة وأخرى متشابة في النشاط الذي تتخصص فيه كما هو حادث بين المؤسسات الأنتاجية لترويج بضاعتها ومنتجاتها في السوق وكما تتنافس الدول في أمتلاكها أسلحة متطورة: طه، فرج عبد القادر.1993م. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. مرجع سابق. صـــ 251.

144. Eurostat new release on immigration in EU, pp10

145. عواد، رياض. 1995م. هجرة العقول. لبنان. بيروت: دار الملتقى للنشر. صـــ 117.

وتسرُّب الباحثين والاختصاصيين العلميين من بعض الدول إلى البعض الآخر حيث انتشرت هذه الظاهرة على نطاق واسع في البلاد الرأسمالية، بدءاً من الخمسينيات وازدادت في الستينيات والسنين اللاحقة؛ وهناك مجموعة كبيرة من الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة في مقدمتها فقدان الحرية وانعدام الديموقراطية (Democracy) وتكافؤ الفرص، وكذلك عدم وضع الإنسان المناسب في المكان المناسب وتفشي ظاهرة الرشوة والمحسوبية والعشائرية والقبلية والطائفية، وأيضاً فقدان انتظام التطوير الاقتصادي والسياسي وانعدام تطوير الثورة العلمية التكتيكية ذات الطابع العالمي والتطورات الهيكلية في الاقتصاد، وظهور الاحتقارات المتعددة الجنسية وتقوية سيطرتها، وتشجيع سياسة الهجرة التي تتَّبعهَا حكومات البلدان الرأسمالية المتقدِّمة. إن العوامل الاقتصادية الموضوعية هي السبب المباشر في هجرة الكوادر المؤهلة، إلى جانب العوامل السياسية، وغيرها التي تقوي هجرة الاختصاصيين، وتترافق المنافع الاقتصادية والعلمية والتكتيكية الهائلة التي تحصل عليها البلدان المتقدِّمة نتيجة لهجرة الكوادر والكفاءات إليها تترافق وتتزامن مع قلة في تطويردول العالم الثالث[146] مما يتطلب معه أنْ نُشيرَ إلى أسباب ودوافع هذا النوع من الهجرة وآثارها ونتائجها ثم سبل مواجهاتها كما نشير اليها من الناحية التاريخية حيث إنَّ مصطلح هجرة العقول، أوالأدمغة قد أبتدعه البريطانيون لوصف خسارتهم نتيجة فقدانتهم

146. عواد، رياض. مرجعه السابق. صـــــ 77.

عدد كبير من العلماء والمهندسيين والأطباء الذين هاجروا إلى خارج بريطانيا متجهين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنَّ العبارة الآن أصبحتْ تُطلقُ على جميع المهاجرين المدربين تدريباً عالياً من بلدانهم الأصلية، ثم هاجروا إلى بلدان أخرى أكثر تقدماً وتطوراً بينما اعتبرتْ منظمة اليونسكو هجرة العقول نوعاً شاذاً من أنواع التبادل العلمي بين الدول يتسم بالتدفق في اتجاه واحد هو ناحية الدول المتقدِّمة. أومايعرف بالنقل العكسي للتكنولوجيا (Technology) ذلك لأن هجرة العقول عبارة عن نقل مباشر لأهم عناصر الإنتاج وهو العنصر البشري. فمنذ أوائل القرن العشرين شهد العالم تطورات متسارعة في كافة مناحي الحياة العلمية والأدبية، وأصبحت النهايات مفتوحة لقنوات التقدَّم والتطوُّر العلمي، وأصبحت تستوعب كل ما هو جديد ومبتكَر، بل وتتطلَّعُ نحو الأفضل باستمرار، كما ازدادت شراهة الجذب للكفاءات من العقول العلمية من قبل الدول المتقدِّمة، وعلى ذلك أصبحتْ هجرة العقول أوالكفاءات ظاهرة عالمية (International phenomena) جذبت أنتباه الساسة والحكام والباحثين وفلاسفة العالم ومفكريه وصُنَّاع القرار، واستطاعتْ بعض الدول الأوروبية في بادئ الأمر، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وغيرهما توظف هذه الهجرة بما يخدم مصالحها، ويحققق أهدافها ومراميها الحالية والمستقبلية، مستفيدة من النبوغ العقلي والعبقرية والذكاء المفرط (Genius) لهؤلاء المهاجرين، بينما أغفلت دول لعالم الثالث هذه الظاهرة مما أَدَّى إلى خسارتها الجسيمة

لهؤلاء العلماء والاستغناء عن خِدْماتهم وإمكانياتهم، ومواهبهم التي باتتْ ضرورية حتمية ومؤكدة في ظل الحركة المتسارعة للتنمية (Development) والتي لا يمكن لأي بلد من بلدان العالم التغاضي عن أهميتها وضرورتها من أجل النهوض والتقدّم والتطور والازدهار والالتحاق بركب الحضارة العالمية، ومما زاد من خطورة ظاهرة هجرة الكفاءات أوالعقول أوالأدمغة، كونها أصبحتْ من أهم وأعظم المؤثرات في مجال تطور الاقتصاد الوطني والتركيب الهيكلي للسكان، والقوى البشرية في أي مجتمع وذلك بسبب تزايد أعداد المهاجرين من العلماء والمفكرين والاختصاصين، وبالتالي حرمان أوطانهم من الاستفادة من خبراتهم، ومؤهلتهم العلمية المختلفة، زد على ذلك الخسائر المالية والاقتصادية التي تتحمَّلُهَا بلدانهم من جراء استمرار حدوث هذه الظاهرة، مما يتطلب دراستها ومحاولة التعرف على أسبابها، ودوافعها وتحديد أضرارها وآثارها السلبية والإيجابية إنْ وُجِدَتْ، والعمل قدْر الإمكان على تقديم بعض المقترحات للحد من تأثيراتها السلبية على الدول المرسلة أو المصدرة لهذه الكفاءات[147].

147. زين، الياس. مرجعه السابق. صـــ 20.

نبذة تاريخية عن هجرة الكفاءات.

تمهيد :

إنَّ هجرة الكفاءات العلمية والثقافية والخبرات الفنية تُمثِّلُ المعوقات الرئيسة لعملية التنمية في العالم الثالث، ذلك لأن عملية الهجرة تُمثِّلُ أستنزافاً حاداً لموارده الاقتصادية وثروته البشرية، كما تكرس تبعية الثقافة والعلم والإبداع[148] (Innovation) وخاصة في ظل العولمة (Globalization) وفي ظل حاجة الدول النامية للعلم (Science) والتقنية الحديثة لمواجهة التردِّي المستمر في أوضاعها الاجتماعية والعلمية والاقتصادية. ولعل هذه الهجرات القديمة والحديثة على حد سواء كانت نتيجة لعوامل طبيعية أواجتماعية أوسياسية كانت منذ وجود الإنسان على ظهر الأرض، ولها آثارها الكبيرة على هجرته المستمرة تفتيشاً على ظروف طبيعية أفضل تساعده على توفير حاجياته من الغذاء والمأوى[149]. أما العوامل الاقتصادية فكان لها أكبر الأثر على الهجرة، ومازالت حتَّى وقتنا هذا على أمل الحصول على الثروة، أو التخلُّص من سوء الوضع الاقتصادي وخاصة في ظل انخفاض مستوى المعيشة في الدول النامية في الوقت الراهن، وعلى ذلك لانستغرب من محاولة الكفاءات العلمية في هذه الدول أَنْ تَسْعَى إلى إيجاد مستوى معيشي أفضل، أومن أجل تحسين

---

148. الإبداع Innovation: هو عدد من القدرات النوعية المختلفة مثل القدرة على إنتاج كثير من الأفكار والحلول الجديدة وعلى تحليل وتركيب الكليات المركبة من الأفكار وأحتمالات بالأضافة إلى السمات العقلية كطلاقة الأفكار ومرونته والأبتعاد عن الأنماط المألوفة في التفكير وحل المشكلات بسرعة وهذه القدرات العقلية تشكل القدرة الأبداعية.

. Petrovsky , A. V , and yaroshevsky , M.G,.1985., A concise psychological dictionary : Moscow, progress publishers, p 63

149. الفيل، محمد رشيد. 2000م. الهجرة وهجرة الكفاءات العلمية العربية والخبرات الفنية أو النقل المعاكس للتكنولوجيا.د.الإسكندرية. مصر: ار مدبولي. صـــ57.

وضعهم الاقتصادي وتوفير ضروريات الحياة لهم ولذويهم، والانفتاح على العالم المتقدّم والمتطوّر وعلى سبيل المثال فإن دخل الفرد السنوي في جزر القمر لايتعدّى 560 دولاراً لكل فرد سنوياً، أما جيبوتي فمتوسط دخل الفرد 780 دولاراً في العام وموريتانيا 550 دولاراً ومصر 660 دولاراً والسودان والعراق وخاصة بعد الحصار والاحتلال الظالم عليها؛ حيث أصبح دخل الفرد أقل من ذلك بكثير[150].

– الهجرة قديماً :

لقد كانت الهجرة قديماً متجها من آسيا إلى أوروبا، وأفريقيا وكانت هذه الهجرة تتم بصور مختلفة منها الهجرات من أجل الحصول على مراعي، وهي هجرة سلمية، وهناك هجرات اتَّسمتْ بالقوة والبطش والسرعة وانتهت بالفتوح كغزوات المغول الأتراك من وسط آسيا والقبائل الجرمانية، كما كان للتحرر العربي الإسلامي دور كبير في الهجرات حيث تنقل البشر بين الجزيرة العربية والأقطار المحررة. ثم حدثتْ بعد ذلك ردة فعل إذ بدأت الموجات التجارية والحربية الإستعمارية تأتي من أوروبا إلى آسيا، وأفريقيا بدءاً بالحروب الصليبية وانتهاءاً بالغزو الفرنسي لمصر والاستعمار الأوروبي الحديث، ثم تبدَّلَ الحال بعد اكتشاف العالم الجديد، وبدأت عملية تعمير القارات الحديثة بعد استكشاف أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا. وكانت الكفاءات العلمية التي هاجرتْ حتى منتصف

---

150. برايل، ميشيل. 1995م. الأحوال الإجتماعية للحرب العراقية الإيرانية. مجلة المستقبل العربي. العدد 201. صـــ 106.

القرن العشرين من الأوروبيين بصفة عامة، ثم ما لبث أَنْ تحوَّلَ الاهتمام بنوعية المهاجر على حساب الجنس واللون. لأن الدول المتقدمة سواء في العالم الجديد أوالقديم دخلتْ في منافسة فيما بينها من أجل الحصول على أكبر عدد ممكن من الكفاءات العلمية، والفنية التي تأتي من دول العالم الثالث، الذي زادت فيه معدلات التعليم بعد أَنْ نال الاستقلال وبصورة خاصة بعد تعديل قوانين الهجرة (Immigration laws) في كل من الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وبريطانيا التي عملت على الحد من الهجرة إليها، ولكنها استثنت الكفاءات العلمية تحت ضغط التوسع الاقتصادي الكبير، وتزايد الحاجة إلى الكفاءات من أبناء الدول النامية ويتضح ذلك جلياً من التغير الذي حدث في تركيبة المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية طوال قرن كامل (1880-1979) كانت الهجرة الأولى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا إلى العالم الجديد أي من بريطانيا وإيرلندا وفرنسا والسويد. (من غرب أوروبا) ثم تحولَّتْ مصادر الهجرة إلى جنوب أوروبا وخاصة من إيطاليا واليونان، ثم تغيرت مصادر الهجرة إلى شرق أوروبا وأخيراً بدأت من الدول النامية تزداد تباعاً منذ نهاية القرن التاسع عشر.

ولقد زادت الهجرة إلى أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لفقدان أوروبا 55 مليون قتيل و50 مليون لاجئ و25 مليون مشرَّد، ونتيجة أيضاً لتنفيذ مشروعات صناعية وتنموية وكذا نتيجة للانتعاش الاقتصادي. ومن هنا احتاجت الدول الأوروبية إلى كفاءات علمية،

وخبرات فنية، فهاجرت أعداد كبيرة من دول الكمنويلث إلى بريطانيا التي رحبتْ بالمهاجرين وعاملتهم معاملة البريطانيين، كما هاجر حوالى ثلاثة ملايين من الأتراك إلى ألمانيا، كما استقبلت فرنسا من إفريقيا، والدول العربية الإفريقية، وغيرها، ومن الدول الآسيوية التي كانت يوماً ما مِنْ مستعمرات فرنسا[151]. كما تضاعفتْ هجرة الكفاءات التي هاجرت إلى الولايات المتحدة، فكانت كفاءات العالم الثالث منها 25% وصلت إلى50% من مهندسين، وأطباء ومتخصصين في العلوم الطبيعية والاجتماعية بالإضافة إلى أطباء صينيين وفلبنيين وهنود. فعلى سبيل المثال في السبعينيات فقدت الفلبين 12% من المهندسين هاجروا إلى الولايات المتحدة، وفقدت بنجلادش 17% من المهندسين المدنيين. وفي الثمانينيات هاجرت ثلث الكفاءات العلمية من إفريقيا إلى أوروبا، وخسرت غانا وحدها 60% من أطبائها[152] ولقد هاجرت كفاءات من الدول النامية إلى الولايات المتحدة، وكندا وبريطانيا ما قيمته 50 بليون دولار، منها حوالى 33 بليون دولار القيمة الاستثمارية المقدَّرة للكفاءات المهاجرة من آسيا فقط، وخاصة من الهند والشرق الأوسط، بينما ساعدتْ هذه الدول الثلاثة بنحو 46 بليون دولار ما بين عامي (1961 -1971 م)[153] ومعنى ذلك أنَّ الدول النامية، وغيرها هي صاحبة الفضل على الدول الأوروبية حيث إنها تُقدِّمُ لها

---

151. عابدين، صدقي. صـــ 47.

152. الفيل، محمد رشيد. مرجعه السابق. صـــ 62.

153. الخيب، مصدق جميل. التعليم والتنمية الإقتصادية. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني. صـــ 89 – 90.

الدعم والمساعدات على شكل كفاءات علمية، وخبرات فنية وتنقلنا هذه النقطة إلى الهجرات العربية لنكشف عن جذورها التاريخية وآثارها.

ـــ الهجرات العربية :

لقد حدثت الهجرة العربية في وقت مبكر نتيجة للظروف الطبيعية والاقتصادية، والحرفية والتجارية التي كان لها آثارها على بداية الهجرة المبكرة للشعوب العربية، حيث هاجر قبل الإسلام بآلاف السنين موجات بشرية قاصدة الهلال الخصيب، أما بعد الإسلام فقد هاجر العرب المسلمون لتحرير الشعوب من الجهل والعبودية، ووصلوا بحركاتهم التحررية والتجارية إلى شرق أسيا (اليابان وكوريا) وجنوب شرق آسيا ومعظم إفريقيا كما وصلوا إلى قارة أوروبا وإلى أسكندنفيا وبريطانيا وروسيا، وكانت القوافل العربية التجارية تنتقل فى أواسط آسيا وإفريقيا بصورة مستمرة، وفي القرن التاسع عشر والقرن العشرين هاجر بعض الجماعات العربية إلى بريطانيا والولايات المتحدة وأواسط آسيا (أفغانستان)، وكونوا جاليات، واتحادات ونقابات (Unions) لها مكانتها في المجال التجاري، فكانت الهجرات الأولى في القرن التاسع عشر من سوريا ولبنان للأسباب التالية :

1- فقدان الحرية السياسية والمدنية في ظل النظام العثماني[154].

---

154 سليمان، ميخائيل. 1998م. المهاجرون العرب إلى الولايات المتحدة الامريكية. مجلة المستقبل العربي. العدد 230. صـــ 18.

2- ضعف الإمكانيات الاقتصادية للبنان وفتح قناة السويس عام 1969م حيث حولت حركة النقل من سوريا إلى مصر، وسهلت الرحلة إلى الشرق الأقصى بشكل أصبح معه الحرير الياباني ينافس الحرير اللبناني حتى في الأسواق المحلية.

3- لقد ساعد موقع لبنان وخصوبة تركيبة المجتمعية والثقافية إلى الرغبة في الهجرة والانفتاح وتبادل حركة التجاري مع أوروبا[155].

4- سهولة النقل والمواصلات عبر العالم، وتطور الملاحة التجارية ونشاط عملاء شركات الملاحة البحرية في تجنيد مهاجرين كَرُكَّابٍ جُدُدٍ.

5- كان لما ينشر من تقارير عن الحياة في أمريكا آثارها في إشعال الرغبة بين خريجي الكليات والمدارس الأمريكية في سوريا إلى الهجرة إلى أمريكا[156] وخاصة الراغبين في الهروب من الخِدْمة العسكرية في الجيش العثماني، والراغبين في التماس الحرية الفكرية والتخلص من البطش والقمع (Repress) وما إلى ذلك من الأسباب الدافعة للهجرة.

وكانت الهجرة الأُولى في أواسط القرن التاسع عشر، وكان اتجاه هذه الهجرة نحو الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل والأرجنتين، والمكسيك وبعد استقلال لبنان عام 1943م وإنهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945م بدأت الاكتشافات النفطية في المنطقة العربية فحدث تطور في حركة الهجرة واتجاهاتها حيث اتَّجهت الهجرة اللبنانية إلى الكويت، والسعودية

---

155. سليمان، ميخائيل، مرجعه السابق، صـــ 19.

156. سليمان، ميخائيل، مرجعه السابق، صـــ20.

نظراً لتوسع هذان البلدان وغيرهما في أعمال البنية التحتية، مما أدّى إلى ارتفاع الطلب على العمالة العربية، كما استمرت الهجرة اللبنانية إلى إفريقيا بنسبة مرتفعة، ثم ارتفع إنتاج النفط، وزادتْ أسعاره، فتزايد الطلب على العمالة العربية، كما استعادت الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية على إثر قانون الهجرة والجنسية عام 1965م كما تباطأت الهجرة إلى البلدان الإفريقية. ومن الملاحظ أن الهجرة في الستينيات والسبعينيات، وخاصة في اتّجاه الولايات المتحدة وبلدان الخليج قد تَميزَتْ بنسبة عالية من العمالة الماهرة، ومن ذوي المؤهلات العلمية والثقافية عالية المستوَى[157] هذا وقد أصيبت الدول النامية بأضرار نتيجة للنزيف المستمر من هجرة الكفاءات والأدمغة. وحديثاً أبتليت الأمة العربية بهجرة كفاءاتها العلمية، وخبراتها الفنية إلى الخارج، ونظراً لضخامة هذه الهجرة وخطورتها وآثارها ونتائجها السلبية، فلقد أصبحتْ موضوع الساعة حيث تشكل خسارة مادية واجتماعية ومعنوية، لا تُقَدَّرُ بثمنٍ حيث إنَّ 50% من حملة الدراسات العليا الممتازة قد هاجروا من بلادهم[158] هذه الدرجات العلمية في فروع علمية وفي مجال الهندسة، بل ولقد هاجر من مصر وحدها 70% من حاملي الدكتوراه و17% من حاملي الماجستير، كما أنَّ هجرة العلماء المصريين تأتي في المقدمة متجهيين بالدرجة الأولى إلى الولايات المتحدة، وبريطانيا وكندا، والبرازيل ثم تليها لبنان والمغرب والعراق والسودان وعلى كل حال يمكن

---

157. حمدان، كمال. 1983م. ظهور النفط في الخليج أطلق الهجرة الثانية. لبنان. بيروت: جريدة الحياة. العدد 10983. 8 مارس.

158. حسين، مهدي مصطفى. 1985م. ظاهرة هجرة الأدمغة العربية. بغداد. العراق: مجلة أحبار البترول والصناعة. العدد 175. ص ـــ 15.

تقسيم الدول العربية إلى ثلاثة مجموعات من حيث تصدير المهاجرين والمهنيين والفنيين والكفاءات العلمية، وهي:

1- أقطار ذات هجرة عالية، وهي: مصر ولبنان والأردن وسوريا والسودان والعراق التي أصبحتْ من أوائل الدول المصدِّرة للكفاءات، وخاصة بعد مامنيت بالحصار والحرب ثم بالاحتلال الأمريكي.

2- أقطار ذات هجرة متوسطة وتشمل بلدان المغرب العربي المغرب وتونس والجزائر.

3- أقطار ذات هجرة ضئيلة وتشمل بلدان الجزيرة العربية وبقية الأقطار العربية[159].

أسباب هجرة الكفاءات العلمية :

يعتقد أن هجرة الكفاءات في زيادة عن ذي قبل، وذلك للأسباب الآتية:

1- إنّ الأقطار المصدِّرة للكفاءات مازال معظمها يتسم بنفس الظروف والأسباب الدافعة للهجرة، بل أنَّ معظمها ازدادت ظروفها تعقيداً، كما هو الحال في الدول الإفريقية، وبعض الدول العربية.

2- إنَّ الدول المتقدِّمة والمستقبلة للكفاءات مازالتْ تُسهِّلُ، وتجذب، وتشجِّعَ الهجرة اليها نظراً لاستمرار حاجتها اليها.

3- تقديم الحوافز من قبل الدول المتقدِّمة لاستقطاب الكفاءات العلمية المبدعة.

---

159. زين، الياس، مرجعه السابق، ص ص 55,56.

4- تأخير الدول المصدرة للكفاءات، وعدم تطوير نفسها علمياً واقتصادياً وعسكرياً.

تعمل الدول المتقدمة على توسيع وتعميق الفجوة العلمية بينها وبين الدول النامية في كافة مناحي الحياة حيث تمثل هجرة العقول رأس مال يخرج من العالم الثالث إلى الغرب، وهي أكبر بكثير من الأموال التي يستثمرها الغرب، أو يدفعها على شكل معونات لهذه الأقطار مجتمعة حيث تفقد الدول النامية مبالغ كبيرة، قد أنفقتها على الكفاءات التي هاجرت من أجل بلوغها مستواها العلمي الحالي، بالإضافة إلى ما تدفعه تلك الدول المصدِّرة لجلب الكفاءات الأجنبية التي تأتي للعمل من خارج البلدان العربية كمستشارين وخبراء على شكل رواتب عالية[160] ويمكن تقسيم الأسباب على النحو التالي:

1- الأسباب الإقتصادية للهجرة:

لا شك أَنَّ ضعف المردود المادي لأصحاب الكفاءات العلمية، وانخفاض المستوى المعيشي لهم، وعدم توفير الظروف المادية والاجتماعية التي تُؤمِّنُ المستوى المناسب لهم للعيش في مجتمعاتهم له أكبر الأثر على هجرتهم، حيث إنَّ الدَّخْلَ ومستوى الحياة للمتعلمين، وأصحاب الكفاءات العليا منخفض في معظم الأقطار العربية[161] بالمقارنة مع دخل الطبقة البيروقراطية الوطنية، ورجال الأعمال والتجار وأصحاب الحِرَف والفنيين وغيرهم، ويبدو أن هذا الانخفاض في الدخل لأصحاب الكفاءات يُعزَى إلى أن الدخل،

---

160. ياسين، عطوف، ن ت. تزيف الأدمغة وهجرة العقول العربية إلى الدول التكنولوجية. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية. صـــــ 123-125.

161. برتجيسلي، زبغنيو. 1980م. بين عصرين أمريكا والعصر التكنوإلكتروني. ترجمة، محبوب عمر. لبنان. بيروت: دار الطليعة. صـــــ 65.

غالباً لا علاقة له بالعمل والإنتاج . وهكذا يجد المتخصص نفسه بعد النضال المرير للحصول على الدكتوراه، أن دخله أقل بكثير من أناس لم يدرسوا على الإطلاق، وعليه، أن يقتنع ببيت متواضع، هذا إذا وجد بيتاً، وبحياة أقرب إلى التقشف منها إلى الرخاء والاستقرار[162].

2ـــ البيروقراطية والروتين:

أن وجود بعض القوانين والتشريعات والتعاهدات والكفالات المالية تربك أصحاب الخبرات، فضلاً عن الروتيين أوالبيروقراطية وانتشار الفساد الإداري وتضيق الحريات على العقول العلمية المبدعة والتي تبدأ من دخولهم البوابات الحدودية لدولهم وصولاً لأصغر موظف أستعلامات في الدوائر الرسمية، يُولِّدُ لديهم الشعور بالغبن، وعدم الرضا، ويضعف لديهم عملية الإنتماء[163]، حيث يتميز الجهاز الإداري في الاقطار العربية عموماً، ببنية تقليدية متخلِّفة ومتحجِّرة وتنقصه القدرة[164] (Ability) على إدراك الدور الذي يمكن أن تلعبه الكفاءات في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية. إن وضعية الجهاز الإداري هذه تجعل كل مسؤول فيه يعتقد بأنه الوحيد القادر على اتخاذ القرار الصائب في مختلف

---

162. عواد، رياض. 1995م. مرجع سابق. صـــ 106.

163. برنجيسلي، زبغنيو. مرجعه السابق. صـــ 65.

164. القدرة Ability : هي الحالة التي وصل اليها الفرد بالفعل سواء عن طريق نضجة أو نموه أو حواته أو تدريبه على مزاولاة نشاط ذهني أو حسي أو حركي في مجال معين كاللغة أو الرياضة أو الميكانيكا أو الأدب أو الرسم أو السباحة أو الحرفي فلو قلنا على سبيل المثل أن فلاناً قدرته في لغة معينه عالية فإن هذا يعني أن لديه حالياً مهارة كبير في فهم هذه اللغة وفيالتعامل بها: طه. فرح عبد القادر. مرجعه السابق. صـــ 628.

الأمور، ولهذا تجده يجمع جميع السلطات والصلاحيات بين يديه ويرفض التنازل عن واحده منها، كما يرفض المشاركة مع الآخرين في اتخاذ القرار. أنَّ وجود مثل هذا الجهاز الإداري البيروقراطي يحول دون الاستفادة من الكفاءات العلىا. هذا الواقع يُولِّدُ شعوراً لدي الكفاءات بأنها مبعدة عن المشاركة في اتخاذ القرار، ويولِّدُ لديهم الشعور بالإحباط (Disappointment) ويشجعهم على الهجرة خارج البلاد[165].

3ـــ عدم الإستقرار الوظيفي:

ينشأ هذا نتيجة للاختلاف بين التخصص الذي يحمله الكادر، وبين العمل الذي يقوم به فعلاً، فالمهندس أوالخبير الزراعي أوالاقتصادي غالباً ما يوضع في مركز إداري بعيداً عن اختصاصه، فيولِّدُ هذا شعوراً سلبياً لديه تجاه عمله، وقناعة بأن بلده لا تستطيع تأمين عمل مناسب له فيتجه نحو الهجرة لإشباع تطلعاته العلمية والوظيفية، أوما يُطلقُ عليه في علم النفس الحديث بتحقيق الذات (Self- fulfilling prophecy)، وسبب هذه الظاهرة هو تبعية الاقتصاد العربي لاقتصاديات الدول الغربية التي تنظر للأقطارالعربية على أنها منتجة للمواد الأولية، وسوقاً لمنتجات هذه الدول المصنعه، مما أدي إلى تباطؤ معدلات التنمية فيها، وقلة العامل المنتجَ لديها[166]، كما أن بعض العلماء يعانون من عدم وجود اختصاصاتهم التي تتفق مع مؤهلاتهم، مثل: علماء الذرة وصُنَّاع الصواريخ ورواد الفضاء،

---

165. عواد، رياض، مرجعه السابق، صـــ 107.

166. عواد، رياض، مرجعه السابق، صـــ 106.

وما إلى ذلك من التخصصات النادرة أوالقليلة، فضلاً عن عدم تقدير العلم والعلماء وكذا وجود العراقيل والعقبات الناتجة عن عدم الثقة في أفكارهم. زد على ذلك تخلف النظم التربوية وتفاقم البطالة (Unemployment) العلمية التي يواجهونها، وعدم معادلة شهاداتهم وما إلى ذلك من الصعوبات التي يواجهونها في أوطانهم[167].

4 ــ عدم الإستقرار المهني:

حيث قد يحصل الكادر على عمل جيد يتناسب مع تخصصه، ولكنه غالباً ما يجد من المعوقات والصعوبات التي تمنعه من المساهمة في تطوير العلوم حتي ولو كان مهتماً بذلك، بسبب بعض المشكلات، فعدم وجود التسهيلات المناسبة أوالفرص المناسبة لذلك، يُشعرُهُ بأنَّ وجودَهَ قد أُنْقِصَ ويُشعرهُ بالإضطراب وعدم التوازن، وخاصة أنه غالباً لا يجد الوسائل الكفيلة للتعبير عن مثل هذه المشاعر، والأحاسيس والمشكلات في معظم الأقطار العربية[168].

5- الأسباب السياسية للهجرة :

ــ عدم الاستقرار السياسي : تتصف الأقطار العربية أومعظمها على الأقل بعدم الاستقرار السياسي[169] (Political) وذلك بسبب وجود العدو الصهيوني في قلب الوطن

---

167. زين، محمد جعفر. ب ت. هجرة العقول في إطار التحولات الاجتماعية الجارية في اليمن. بيروت. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية. صـــ 75. 76.

168. عواد. رياض. مرجعه السابق. صـــ 107.

169. سياسة Political : هي علم حكم الدول أو فن ممارسة حكم الجماعات الأنسانية وإذا تتبعنا كلمة سياسة فإن لسان العرب يذكر أن أصل كلمة سياسة جاء من السوس وهي تعني الرئاسة : سعد. أسماعيل علي. 2006م. قضايا المجتمع والسياسة. الإسكندرية. مصر: دار المعرفة الجامعية. صـــ 96.

العربي، ثم بسبب الخلافات السياسية القائمة بين الأقطار الشقيقة المتجاورة، مما يُؤدِّي إلى تقليل أوضعف الدور القيادي الذي يجب أنْ يَقومَ به المسؤولون في عملية التنمية الاقتصاية والاجتماعية في البلاد، ويُولِّدُ هذا بدوره شعوراً بالإحباط لدى أصحاب الكفاءات فيدفعهم إلى الهجرة. فضلاً عن الإشكاليات التي تعتري بعض تجارب الديمقراطية العربية والتي تؤدي في بعض الأحيان إلى شعور بعض أصحاب الخبرات، والمهارات، والكفاءات بالغربة داخل أوطانهم فيضطرون إلى الهجرة سعياً وراء ظروف أكثر حرية وأكثر أمناً واستقراراً[170].

ـ **أسلوب النخبة الحاكمة** : تعتقد النخبة الحاكمة في بعض الأقطار العربية أنَّ من واجب المثقفين والكوادر العليا تقدير ظروف البلاد الاقتصادية والعسكرية، في ظل الوجود الإسرائيلي، وما يكلفها هذه من نفقات باهظة كان يمكن تحويلها لتحسين مستوى المعيشة لجميع الطبقات، وخاصة الكوادر العليا، ومن هنا ترى هذا النخبة الحاكمة أنَّ من واجب الكوادر العليا التضحية والقبول بمستوي متواضع من العيش في سبيل تدعيم جهود التنمية والدفاع عن الوطن. وهذا الرأي له وجاهته وبديهى ومنطقي (Logical) ومقبول لو أن النخبة الحاكمة بدأت بنفسها ثم طالبتْ غيرها أن يحذو حذوها، أما عندما يرى الإنسان أن هذه النخبة الحاكمة لاتحرم نفسها من شيئ، ولا تتحمل أية تضحيات وفي ذلك قيمة

---

170. ترجيسلي، زبيبو. مرجعه السابق. صـــ 65.

التناقض (Contrast) الذي يولد شعوراً باليأس (Despair) والقنوط لدى الكفاءات، ويشكل أحد عناصر الدفع القوية للهجرة خارج البلاد لتأمين حياة كريمة.

ـ **إبعاد الكفاءات العلمية:** إنَّ الكفاءات العلمية المتميزة تعامل معاملة الموظفين ولا يتمتعون بأي امتيازات بحكم كونهم مثقفين، في الوقت الذي تجد فيه نجوم السينما والمطربين ولاعبي كرة القدم وغيرهم أكثر تقديراً من قبل الفئات الحاكمة، ويُولِّدُ هذا شعوراً بعدم الإكتراث بتطور العلوم، بل تثير الحقد والحسد الطبقي، والرغبة في الهجرة.

ـ **انتشار الفساد والرشوة والمحسوبية:** تعاني معظم الأقطار العربية من ظاهرة الفساد (Bribe) وسيطرة القبلية والعائلية على العلاقات الموضوعية ويؤدي هذا الواقع إلى الرشوة وتنصيب أشخاص غير أكفاء في المراكز العليا والحساسة، ويعمل هؤلاء على إستغلال مناصبهم بصورة تحقق لهم أَقصْىَ المنافع العاجلة، ضاربين بالقيم العلمية والموضوعية[171] (Objectivity) عرض الحائط.

إنَّ هذا الواقع غالباً ما يضع الكفاءات في ظروف تقلل من احترامها لنفسها، بل وفي أحيان كثيرة تضطر الكفاءات إلى تقديم المدح والثناء والإطراء لهؤلاء الرؤساء غير الأكفاء، وغالباً ما يكون هذا الإطراء والتجميد (Exaltation) والثناء والرياء والنفاق والمداهنة والتملق شرطاً للبقاء في العمل والترقي، والعالم، أوالباحث الذي لا يتحلّى بالمرونة

---

171. الموضوعية Objectivity : هي مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص فهي تسجيل للواقع كما هو موجود بالفعل: العسوي، عبد الفتاح محمد، مرجع سابق، ص ـــــــ 33.

أوالوصولية، والذي لا يقبل بالتخلي عن شخصيته في حضور رؤسائه يجد أنه من الصعب عليه أن يتقدَّمَ في وظيفته. أنه لا يكفي أبداً في مثل هذه الظرف أن يكون صاحب الكفاءة أوالمهارة مهذباً ومتعاوناً، ويقوم بواجبات عمله خير قيام، ولكن يتوجب عليه في معظم الأحيان يتصرف كخادم يركع ويخضع ويستسلم لمن يمتلك زمام الأمور، فحين يعيش هذا العالم، أوالمفكر فترة من الوقت في مثل هذه الأجواء الفاسدة يجد نفسه في وضع لا يمكن تحملة، أوقبوله فيفتش ويبحث عن الهجرة.

ـــ **إنعدام الحريات العامة:** إنَّ عدم الحريات السياسية والاجتماعية وقيام أوضاع مضطربة كثيراً ما يسبب وقوع كثير من المفكرين والمثقفين ضحية دفاعهم عن الحريات العامة ومطالبتهم بالتغيير، من أجل توفير ظروف أكثر استقراراً. كما تساهم القوانين والنظم المقيدة للحريات في تعطيل عمل المفكرين والمبدعين، وإبعادهم عن مجالات العمل المنتج. وفي مثل هذه الأوضاع تنعدم المعايير، وتتدَّنىَّ مكانة الفرد، وترخص حياة الإنسان، وتتعايش قمة الإخلاص والولاء والانتماء للوطن مع قمة الخيانة، والتآمر على الوطن في ظل منطق واحد يفصل بعضها عن بعض شعرة تكاد لا تُرىَ، إلا لمن وهبه الله بصيرة نيرة وعقل راجح وحس مرهف.

4- **الأسباب الاجتماعية للهجرة** : تلعب العوامل الاجتماعية دوراً مهماً في الهجرة، فبعض العادات والتقاليد تعطي الأطباء والمهندسين أهمية كبير واحتراماً وتقدراً لا يحظى

الكادرالمتوسط على مثل هذا الاهتمام والتقدير، مما يدفع الدارسين إلى الصعود والحصول على أعلى الدراسات العلمية، وينتج عن ذلك فائض في التخصصات العليا يتجه حتماً إلى الهجرة يضاف إلى ذلك أنَّ الكوادر العليا التي درست خارج بلادها فترة طويلة من الزمن نسبياً واعتادت على أنماط الحياة الغربية تجد صعوبة بالغة في إعادة التأقلم (Adaptation) والتكيَّف والتوافق أوالانسجام (Harmony) مع مجتمعاتها التقليدية، حيث تسيطر على معظمها الكثير من التقاليد ذوات التكاليف الباهظة التي لا يستطيع المثقف معايشتها، ويجد الإنسان نفسه تجاه هذا الواقع مدفوعاً إلى الهجرة خارج الوطن مرة أخْرىَ من أجل التمتع بحياة أسهل خالية من أعباء هذا النوع من التقاليد المرهقة التي يتحملها في بلده، زد على ذلك سفر أعداد كبيرة من الطلاب إلى الخارج إما لأنهم موهوبون، بشكل غير اعتيادي ويمكنهم الحصول على منح دراسية، أولأنهم من عائلات غنية يستطيعون التكيَّف (Adjust) مع أسلوب الحياة الأجنبية، وطرقها فيستقروا في الدول التي درسوا فيها، ومعني ذلك أنَّ فرصة السفر قد وفرت لهؤلاء الطلاب الاطِّلاع على تجارب المجتمعات الأُخرى، والتأثُّر بما هو موجود فيها من وسائل العيش علاوة على توفير المناخ العلمي المناسب، ويجد الإنسان نفسه مدفوعاً إلى الهجرة إذا قارن بين الحالة الموجودة في الدول النامية، وبين ما هو موجود في الدول المتقدِّمة يضاف إلى ذلك أنَّ تكيُّف كثير من طلاب العلم ومحبي المعرفة[172]

172. المعرفة Knowledge : هي المعلومات والأفكار والآراءوالمفاهيم والتأويلات والتفسيرات إلتقييمية والأحكام والمدركات والتصورات الحازمة التي تكونها أو تتوصل اليها عن طريق شئ ما

(Knowledge) مع الحياة في الدول الأجنبية، ومن ثم زواجهم من الأجنبيات، وبالتالي إنجابهم أطفال، مما يضع المهاجر أمام الأمر الواقع فيما بعد، أويصعب عليه ترك زوجته وأطفاله لاعتبارات عدة منها أنَّ زوجته وأولاده، قد لايستطيعون العيش في بلده الأصلي، وهم غير مستعدين لمصاحبته، كما أن كثير من التشريعات توضع أمامه العراقيل في حالة رغبته[173] (Desire) في العودة إلى بلدة الأصلي وعلى سبيل المثال عدم تَعْيين المواطنين المتزوجين بأجنبيات في مناصب عالية في بعض الدول العربية. وقد لايستطيع توفير امتيازات لعائلته، كتلك التي كانت موجودة ومتوفرة لديه في البلد الأجنبي، ومع تقدم المهاجر في العمر تنتهي من ذهنه فكرة العودة إلى بلده الأصلي[174].

يضاف إلى ماسبق أَنَّ المجتمعات العربية لا تُبْدِي اهتماماً بأنجازات الكوادر العليا بأشكالها المختلفة حيث تبقى بعيدة عن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروئة كما أنه لايوجد محاولة لزيادة تقدير المجتمع لإنجازات هؤلاء العلماء، فضلاً عن ضعف الروابط العائلية والقبلية بين أفراد المجتماعات العربية عن ذي قبل؛ علاوة على حالة الكساد والركود الموجودة في تطور القوى العاملة، وحرمان المجتمع من أبسط الخِدْمات الاجتماعية

نتيجة لإستعمال حواسا أو عقولنا أو هما معاً : عبد الفتاح محمد العيسوي. نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي. مرجع سابق. صـــــ41

173. الرغبة Desire : يشير هذا المصطلح بصفة عامة إلى دوافع الفرد الشعورية أو اللاشعورية لبلوغ هدف ما: طه. فرج عبد القادر. مرجعه السابق. صـــــ 359.

174. أفريحة، فاطمة زهرة. ب ت. عوامل هجرة الكفاءات في الجزائر. بيروت. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية. صـــــ 155 - 156.

والإنسانية كتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية ومياه الشرب والكهرباء في بعض المناطق العربية[175].

5- **الأسباب العلمية والثقافية للهجرة :**

ـــ وجود علاقات ثقافية قوية مع الدول الغربية: إنَّ معظم المتخصصين والكفاءات العليا العربية درسوا في الغرب، أوفي مؤسسات تعليمية وطنية ذوات اتِّجاه غربي، مما جعل بعضهم مستعد للهجرة إلى هذه البلاد، كما تلعب اللغة دوراً مهماً في الهجرة، ففي الأقطار التي تتكلَّمُ أصحاب الكفاءات باللغة الإنجليزية (Languages) تهاجر غالباً إلى أمريكا وإنجلترا وهكذا بالنسبة لمن يتكلمون اللغة الفرينسية حيث يهاجرون إلى فرنسا، مثل: تونس والجزائر وغيرها.

ـــ انعزال العاملين العرب عن المراكز العلمية في الدول الصناعية :

إنَّ هذا الانعزال نتيجة الاهتمام الضعيف والهزيل بالبحث العلمي من جهةٍ، وكذلك نتيجة نقص التجهيزات والآلات والأدوات والمعامل والمختبرات المناسبة للبحث العلمي في الوطن العربي من جهةٍ أُخْرىَ، ولعدم وجود تكافؤ بين عدد الباحثين، وعدد الفنيين المساعدين، وعدم وجود إمكانيات جدية للتدريب الإداري. والاعتماد على الجهاز الإداري القديم الذي يعجز في معظم الأحيان عن تأمين التجهيزات والكتب والمراجع والقواميس ودوائر

---

175. زين، محمد جعفر، مرجعه السابق، صـــ 76- 77.

المعرف والمعاجم والدوريات والتقارير العلمية الحديثة في الوقت المناسب، وبعبارةٍ أخرى غياب المكتبات الجيدة والحديثة وخدماتها المناسبة. كل هذه العوامل تعمل على تخلف الباحثيين العلميين العرب وتعزلهم رويداً ورويداً عن التقدم العلمي الجاري في المراكز العلمية العالمية. وكل هذه العوامل تشجع الكوادر والكفائات على الهجرة لإنقاذ أنفسهم من حالة التخلف التي يعيشونها والتي تقضي بمرور الزمن على رأسمالهم العلمي، وهو رأس المال الوحيد الذي يمتلكونه والمتمثل في قدراتهم ومواهبهم ومستوى ذكائهم، وما يمتلكونه من خبرات ومهارات[176].

176. الفيل، محمد رشيد. 2000م. البحث والتطور والإبتكار العلمي في الوطن العربي في مواجهة التحدي التكنولوجي والهجرة المعاكسة. عمان، الأردن: دار مجدلاوي. ص ـــــ 109.

المبحث الثاني

الآثار المترتبة على هجرة الكفاءات العربية :

تمهيد :

إنه مما لا يدع مجالاً للشك أنَّ هناك علاقة بين التنمية وهجرة الكفاءات، أوبعبارةٍ أُخرى هناك علاقة بين التنمية والعناصر البشرية ذات الكفاءات العالية، وهي علاقة ذات تأثير (Effectiveness) متبادل فتحقيق التنمية يتضمن بالضرورة إعداد العناصر البشرية المؤهلة علمياً والمدربة تدريباً عالياً، كما أنَّ وجود العنصر البشري شرطاً مسبقاً لعملية التنمية الجادة والمنشودة، فمن بين الآثار المترتبة على الهجرة فقدان الدول العربية لكفاءتها الضرورية لقيام التنمية، كما أن التكاليف الباهظة التي تتحملها الدول لإعداد أبنائها الذين يضطرون إلى الهجرة والإقامة في الدول المتقدمة، يعد خسارة كبيرة، زد على ذلك أستمرارهم في أستيراد الكفاءات الأجنبية بأسعار مبالغ فيها في كثير من الأحيان مما يؤدي إلى تعميق تبعياتها العلمية والفنية والتقنية للدول المتقدمة كما أدت الهجرة إلى نقص الكوادر الوطنية والخبرات الفنية التي أكدت التجارب التنموية أهميتها وضرورتها فعلى سبيل المثال لا الحصر كان رأس المال البشري يمثل الدعامة القوية لعملية التصنيع في اليابان وبقية دول جنوب شرق آسيا كما أنَّ الإنجاز التقني والعلمي الراجع إلى تطور أداء نظامها

التعليمي وأهتمامها بإعداد الكفاءات والمهارات الفنية، كان أهم أسباب تقدمها وتطورها وازدهارها[177]. ومن هنا نستطيع القول بأن عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية هي عملية لاحقة لتطوير النظام التعليمي، ولاكتساب الخبرات والمهارات وإعداد الكفاءات، وسوف نشير إلى ارتباط التعليم وعلاقتة بهجرة الكفاءات الإفريقية فيما بعد ذلك، لأنَّ التعليم هو الذي ينتج الكفاءات والمهارات الفنية، ويعمل على نقل التكنولوجيا وتطويرها حسب متطلبات البيئة المحلية، مما يؤدي إلى نجاح المشروعات التنموية وسلامة تنفيذها، وهذا ما تفتقر اليه معظم الدول االعربية خلال مسيرتها التنموية، وذلك لعدم الإهتمام بإعداد الكفاءات الوطنية والتفريط، والتهاون في الكفاءات الموجودة مما أَدَّى إلى هجرتها إلى الخارج، الأمر الذي أَدَّى بدوره إلى خلل في تركيب بنية القوة العاملة في الدول المصدِّرة للكفاءات، ومن خلال مطالعة الباحث لما كُتِبَ في هذا الشأن، وجد أَنَّ هناك تبايناً في الآراء حول طبيعة الآثار المترتبة، أو الناجمة على هجرة الكفاءات، فهناك من يرى أَنَّ الدول المرسلة للكفاءات تجني ثماراً إيجابية نتيجة هجرة الكفاءات منها على سبيل المثال ما يلي :

177. إبراهيم الصوفي الشيباني، 2001م، دراسات أستراتيجية التنمية وهجرة الأدمغة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، دولة إمارات المتحدة، ص ـــ 51.

الآثار الإيجابية :

ـــ إنَّ الكفاءات المهاجرة تنتقل إلى دول أكثر تقدُّماً وتطوراً توفر لها ظروف عمل مناسبة لنوعية كفاءتها ومعيشة أفضل، مما يؤدّي إلى ارتفاع إنتاجها ومساهمتها في تطور المعرفة والتقدُّم البشري.

ـــ إنَّ وجود العلماء والباحثين العرب في الخارج يعد مكسباً لكونه يفتح الباب للأمة العربية كي تتقدم من الناحية العلمية، والفنية والتقنية، بل في كل مجالات الحياة.

ـــ إنَّ الكفاءات العربية المهاجرة تُمثِّلُ قنوات الربط بين العالم العربي والغربي، كما أنَّ الهجرة حق إنساني مكفول لجميع العلماء، والباحثين من أجل تحصيل المعرفة بكافة أنواعها.

ـــ كما أنَّ هجرة الكفاءات تعني المشاركة في إنتاج المعرفة الإنسانية الواحدة وتقدمها وتطورها ونموها، حيث إنَّ العلم لا موطن له، حيث إن مِنْ بين صفات المعرفة أنها تراكمية.

ـــ كما تعني هجرة الكفاءات بقاء الاتصالات بين الوطن الأم وبين المهاجر، ويؤدي ذلك إلى الاستفادة من خبراته الجديدة[178].

ـــ تحسين ميزان المدفوعات من خلال التحويلات المالية للكفاءات المهاجرة وجدير بالذكر أن نشير أن حجم التحويلات يتوقف على طبيعة الهجرة إذا كانت مؤقتة أودائمة ففي حالة

178. حضر، محسن. 1996م. رؤية جديدة في تفسير نزيف العقول العربية. القاهرة: مجلة شؤون عربية. العدد 87. ص ـــــ 86.

ما إذا كانت الهجرة مؤقتة (Temporary migration) فإنَّ المهاجر غالباً ما يحول الجزء المتبقي من دخله بعد استهلاكه إلى وطنه الأصلي، وعادةً ما يتم توظيف هذه الأموال في أنشاء مشروعات تنموية مختلفة يعود مردودها إلى البلد الأصلي.

ـــ المساهمة في تخفيض البطالة (Unemployment) ورفع مستوى الدخل، أما إذا كانت الهجرة دائمة (Time migration) وهي السمة الغالبة على هجرة الكفاءات، فإن التحويلات المالية تهدف إلى مساعدة الأهل وبالتالي لا تُساهمُ هذه التحويلات في ازدهار الدول المرسلة، أوالمصدرة للكفاءات بشكل يذكر، فضلاً عن أن المهاجرين من الكفاءات قلة بالنسبة لباقى أنواع الهجرة ومن هنا، فأنها ليس لها آثار كبيرة في معالجة موضوع البطالة بنسبٍ تُذْكَرُ.

ـــ الاستفادة من خبرة العائدين ومهارتهم، حيث يكتسب المهاجرون عادة مزيداً من الخبرة والكفاءة أثناء مزاولة أعمالهم في الدول المتقدِّمة التي هاجروا اليها، وتحدث هذه الاستفادة فقط في حالة عودتهم بشكل دائم إلى أوطانهم، كما حدث في الصين في الخمسينيات والستينيات، عندما عاد الكثير من علمائها ومفكريها الذين هاجروا منها قبل قيام جمهورية الصين الشعبية. وكما حدث في الهند عندما عاد المهاجرون اليها الذين قد هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية فكانوا سبباً في نمو وازدهار بعض القطاعات الحديثة في الهند[179].

179. Rapport sur le Development dans le monde du travail dans une economie sana Frontieres.. 1998 . Banque Mondiale . p . 77

الآثار السلبية :

لقد أحدثتْ هجرة الكفاءات العربية إلى الخارج آثاراً سلبية منها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو اجتماعي على نطاقٍ واسعٍ فبالنسبة لمن يرى أنَّ هناك استفادة من عودة الكفاءات بشكل دائم فهذا الرأي مردود عليه، ذلك لأنَّ ظروف معظم الدول العربية مازالت تدفع إلى الهجرة وليس إلى العودة، وفي حالة عودة بعض الكفاءات فأن المعارف التي اكتسبوها في دول المهجر غالباً ما تكون بعيدة عن الاحتياجات المحلية للتنمية، كما أنَّ العائدين من أصحاب الكفاءات يأتون وقد ارتبطوا وتعودوا على أنماط الحياة وأنواع التفكير واكتسبوا عادات وتقاليد الاستهلاك السائدة في دول المهجر أكثر من التزامهم بقضايا التقدَّم والتطور والتنمية في بلدهم الأصلي، كما أنهم يصبحون أقل توافقاً وتكيفاً وانسجاماً مع الواقع الاقتصادي والاجتماعي في وطنهم الأم، وهكذا تبقي الاستفادة من خبراتهم وتجاربهم مسألة مشكوك فيها إلى حدٍ كبيرٍ. أما من يقول إنّ هناك استفادة من التحويلات المالية الحادثة نتيجة هجرة الكفاءات، أوالمهاجرين بصفة عامة، فإنَّ في ذلك تغذية لحالة التضخم نتيجة لارتفاع نسبة الاستهلاك الناتجة عن تلك التحويلات الجديدة، كما يزيد ذلك من الميل إلى الاستيراد بشكلٍ عامٍ من التحويلات، ومن الدخل المكتسب محلياً نتيجة لاكتساب المهاجر عادات استهلاكية جديدة قد تعود علىها في بلاد المهجر، مما يؤدي في النهاية إلى رفع نصيب الواردات الكلية، مما يؤثر على التحسن الذي قد يحدث على ميزان

المدفوعات، فهجرة الكفاءات تحدث نقص نوعي في القوى العاملة الماهرة، مما يؤثر على القدرة الإنتاجية للسلع المعدة للتصدير فيخلق عجزاً في ميزان المدفوعات، فضلاً عن أنَّ هجرة الكفاءات تُمثِّلُ حرمان الدول المرسلة من خبرة أبنائها من أصحاب المواهب القادرين على المساهمة الفعالة في الحد من البطالة[180] في الوقت الذي تزداد فيه حاجاتها إلى مهارتهم وخبراتهم، ومعارفهم وهو ما يربك عملية التنمية فيها. ومن الممكن قياس الخسائر التي تتحملها هذه الدول بصورة عامة[181] عن طريق ما يلي:

1- حساب التكلفة التي يتكبدها المجتمع في تربية وتعليم وإعداد المهاجر الكفؤ منذ ولدته حتى وقت هجرته، يقابل ذلك مكسب تجنيه الدولة المستقبلة يتمثل في التكلفة التي كان سيتحملها لو أنَّ المهاجر تمة تربيته وتعليمه، وثقل مواهبه داخل دولته. ففي دراسة أجراها مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، تم وضع تقريرات لما يعرف بقيمة رأس المال المنسوبة إلى الكفاءات الخارجة من الدول النامية إلى ثلاث دول صناعية، هي: الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، والمملكة؛ المتحدة لثلاث مجموعات فقط هم العلماء والأطباء والهندسين[182] وقدّ انتهت الدراسة إلى أنَّ مجاميع القيم الرأسمالية المنسوبة إلى المهاجرين من

---

180. زكي، رمزي. 1987م. تحويلات العاملين العرب بالخارج. القاهرة، مصر: دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع، صـــ 150.

181. فرحاني، نادر. 1985م. هجرة الكفاءات والتنمية في الوطن العربي. بيروت، لبنان: مجلة المستقبل العربي، العدد 80، صـــ 82.

182. النصراوي، عباس. 1987م. هجرة المهنيين العرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية. بيروت، لبنان: مجلة المستقبل العربي، العدد 102، صـــ 115- 116.

الفئات الثلاثة خلال عام 1960م إلى 1972م بحوالى 42 مليار دولار أمريكي تكبدتها الدول المصدرة للكفاءات.

2- فقدان المساهمة المحتملة للكفاءات المهاجرة في تحقيق التغيير الاجتماعي تلك المساهمة التي تعتبر أساس عملية التنمية البشرية التي لا تستطيع أَنْ تبلغ أَقْصَى حدود فاعليها إلابتكامل أدوار فئة أصحاب الكفاءات، تلك الفئة التي تلعب دوراً كبيراً في تهيئة الظروف الضرورية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. ومن ثم الانطلاق نحو تحقيق أهدافها (Goals) المنشودة[183]، علماً بأن هذه الفئة هي أكثر خبرةً بمتطلبات التنمية الشاملة والمستدامة في مجتمعاتها، وأكثر درايةً بمشكلاتها، فهجرتهم تعمل في اتّجاه مضاد لهدف تطويع التقنية وتوطينها، فتبقى الدول العربية في دوامة استيراد المعدات التكنولوجية الحديثة والتقنية والخبرات. هذا وقد استطاعت الولايات المتحدة الأمركية وحدها توفير 883 مليون دولار أمريكي من تكاليف التعليم عام 1972م نتيجة استقدامها العقول المهاجرة، وقد استفادت كندا من أصحاب الكفاءات المهاجرة اليها بما يُساوي عشر أضعاف ما أنفقته من معونات في مجال التعليم والمساعدات التقنية خلال عام 1967- 1973م، هذا وقد استفادت كل من أستراليا وكندا وبريطانيا من أصحاب الكفاءات بدرجةٍ كبيرةٍ[184].

183. منظمة العمل العربي. 1997م. التنمية في الوطن العربي في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية. القاهرة. مصر: شئون منظمة العمل العربي. صـــــ 115- 116.

184. حضر، محسن. مرجعه السابق. صـــــ 8.

3- أما استيراد المهارات الأجنبية فهو ينطوي على آثار مزدوجة، حيث يحرم الدول العربية من خدمة كفاءتها، مما يؤدي إلى تأخير عملية الاعتماد على الذات العربية تقنياً واقتصادياً، ويزيد ذلك من التبعية للدول المتقدِّمة هذا من جانب، ومن جانب آخر، فأنه يزيد من نسبة التكاليف والأعباء التي تتحملها الدول العربية في سبيل الحصول على الخبرة الفنية الأجنبية غإلىة الثمن، حيث يصل دخل أصحاب الخبرة الأجنبية إلى أضعاف الخبرة الوطنية في نفس التخصص. وكان في إمكان الدول العربية أَنْ تُوفِّر نَصف ما تنفقة على الأقل على الخبرة الأجنبية إذا إستخدمت الخبرة الوطنية المهاجرة بدلاً من الخبرة الأجنبية.

4- إن استيراد المهارات الأجنبية وتفضيل سياسة (تسليم المفتاح) في بعض المشروعات يحول دون الاهتمام بتطوير البحث العلمي، وبناء قاعدة علمية وعملية وفنية وتقنية وتكنولوجية عربية، بل ويصيب العقلية العربية بالبلادة الذهنية والشعور باللامبالاه.

5- علماً بأنه في الوقت الذي لم يتجاوز الإنفاق العربي على أغراض البحث العلمي ملياراً واحداً من الدولارات عام 1980م إلى عام 1981م وصل ما تنفقة الدول العربية في الفترة ذاتها على استيراد المهارة والاستشارات الفنية، وترخيص الإنتاج من الدول الغربية إلى خمسة مليارات من الدولارات، كما أدَّى مبالغة الشركات الأجنبية في رفع أسعار بيع السلع الرأسمإلىة والهندسية والخِدْمات الاستشارية، والفنية للدول العربية إلى ارتفاع تكاليف إنشاء المشروعات الصناعية العربية بنسبة تتراوح بين 200% - 300% مقارنة

بالأسعار الدولية وكل ذلك يمثل خسارة تتكبدها الدول العربية نتيجة لهجرة الكفاءات[185].

وجدير بالذكر أن نشير إشارة موجزة إلى بعض المتاعب والمشكلات التي يواجهها المهاجر العربي في بلاد المهجر.

مشكلات الشباب العربي في المهجر:

إنه مما لا شك فيه أنَّ العيش في المهجر هو أمر صعب وخاصة في ظل الظروف الراهنة وبعد أحداث 11 من سبتمبر 2001م فهناك من عاش طويلاً في المهجر وأنجب أطفالاً وربىَّ وعاصر عن قرب كثيراً من التحديات التي تواجه المجتمع العربي في المهجر ومن بين هذه التحديات ما يلي:

1- التحدي الذي يواجه إرادة المهاجرين في الاحتفاظ بدينهم وقيمهم وعادتهم وتقاليدهم، وأعرافهم ومعايرهم الاجتماعية التي تربوا في كنفها، وفي بلدهم الأصل مقاومة ما يغايرها أويختلف معها وهذا ما يُطلقُ عليه صدام الحضارات.

2- محاولتهم البقاء على اتصال دائم بأوطانهم وانشغالهم بشؤن آبائهم وذويهم، مما يولِّدُ لديهم نوعاً من القلق(anxiety)[186] والاضطراب والتفكير.

---

185. أبو كريشة، عبد الرحيم. 1998م. المهاجرون المصريون للولايات المتحدة الأمريكية. القاهرة. مصر: دار المعارف. صـــــ 116 – 117.

186. القلق Aniexity: هو أن فعال سلبي يرتبط بالمخاوف الشاذةوأنه أستجابة أنفعالية متعلمة علي أساس مبادئ التشريط أن أنه حافز يعوق الأداء أو يسهله. وهو ناتج عن أضطراب في العلاقات المتبادلة بين الفرد والمجتمع : مليكة، لويس كامل. 1980م. علم النفس الأكلينيكي. القاهرة. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. صـــــ 160 .

3- انشغالهم بالعديد من الإمكانات المتاحة لهم ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية لكثرة وجود الرفاهية، وفي الوقت نفسه لابد من أَنْ يقضوا ساعات طويلة في العمل، أويقومون بأكثر من عمل حتَّى يستطيعوا توفير حياة مناسبة، لا تشعرهم بالنقص أوالدونية عن غيرهم من الذين يقطنون تلك البلاد.

4- أما من الناحية الاجتماعية فإنَّ عدم وجود أسرة ممتدة[187] (Extended family) تشعرهم بالضعف والوهن ومرارة الغربة نتيجة لفقدان العزة والقوة التي يشعرون بها قبل مغادرة أوطانهم الأصلية.

5- إنَّ نمط الحياة السريع يُؤدَيِّ بالمهاجر إلى عدم معرفة هويته أوالحفاظ علىها نتيجة للترجمة المتأنية للمعلومات التي ينقلها من العالم الخارجي إلى عالمه الداخلي، بالأضافة إلى تأثير وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة تلك التي تدخل في تشكيل صورة الإنسان لعالمه ولنفسه وفكرته عن ذاته.

كما أن الشخصية الغربية شخصية كثيرة الاستقلال فيتعلم الشباب المهاجر من المجتمع الذي يعيش فيه خلاف لما تعلَّمه في وطنه الأم من الاعتماد على الأهل اقتصادياً ونفسياً والاستقلالية المبكرة لها أضرارها.

---

187. أسرة ممتدة Extended family : هي الأسرة التي تتكون من الزوج والزوجة وأولادهما كما تضم المتزوجين منهم وصغارهم وتقيم عالما في منزل واحد أو منازل متجاورة : بدوي، أحمد زكي. 1986م. معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية. مرجع سابق. صـــــ 147.

كما نراى الاستقلالية في التفكير خاصةً في سن مبكرة، هذا أمراً ما هو إلاّ تقليد أعمى للغرب، وهو غير جائز في مجتمعاتنا الشرقية، فعاداتنا وتقاليدنا تحتم علينا أموراً يجب التزامها، أنه من الأفضل أن لا نقلد الغرب في كل شيء، بل في الأمور التي لا تتنافى مع تعاليم ديننا الإسلامي، وعاداتنا وتقاليدنا العربية الأصيلة. فالاستقلالية لها شروط كثيرة حتى تتم بشكل صحيح، منها: أن يمتلك الشاب والفتاة وعياً فكرياً عالياً، وأن يكون قادراً على تحمل المسؤولية فيما يتخذه من قرارات، مع مراعاة الأمور الدينية والأخلاقية.

6- محاولة غرس أوزرع الشك والريبة في معتقدات وثقافة المهاجر وخاصة، إذا كانت تلك الشخصية مسلمة، لتحل محلها ثقافة اللامبالة واللاجدوى، هي الأكثر انتشاراً لكل ما هو أساسي وجوهري في حياة المهاجر.

7- كما يضطر أصحاب الشهادات العليا الممتازة للعمل في أعمال لا تتفق مع مؤهلاتهم وخبراتهم وخاصة الأطباء والمهندسين، مما يُشعرهُمْ بفقدان الثقة في أنفسهم وفي قدراتهم العلمية، فإذا ما رجع هذا الطبيب إلى بلده الأم، تجده قد فقد حاسته الإكلينيكية (Clinical) ومهارته العلاجية. ذلك راجعاً لعدم ممارسة المهاجر تخصصة في بلد المهجر ومحاولة منه في توفير لقمة العيش فيمارس أي عمل من اجل الاستقراره فتجده قد فقد قدراته العلمية التي كانت لدية في موطنه الاصلي.

8- لقد أوضحت بعض الدراسات وجود مضايقات، مثل: التمييز العرقي، والتخويف والهلع والرعب والفزع (Panic) من قبل الحكومة الأمريكية لكل مَنْ يعارض السياسة الأمريكية ويذكر بعض المهاجرين القدامي أَنَّ هناك عداءً مستتراً للإسلام، وظهر هذا العداء بصورة واضحة أيام ثورة الخميني في إيران، وأزمة الرهائن الأمريكين في طهران، وقد ربط معظم الأمريكين بين العرب والإسلام مما أَدَّى إلى نشوء مواجهة واسعة النطاق معادية للإسلام والإيرانيين والعرب في الولايات المتحدة الأمريكية.

9- يتعرض المهاجر للعديد من المشاكل المختلفة منها وجود صعوبة في التكيف والاختلاط بالشعب الأمريكي، وربما يكون السبب هو اختلاف درجة التحضر والتعلم والوعي واختلاف العادات والتقاليد، وكذلك مشكلة اللغة ونظرة الأمريكان للمهاجر على أنه دخيل ومرتزق جاء سعياً وراء المال فقط، فضلاً عن مشكلة السكن وما تسببه من عدم الاستقرار نتيجة ارتفاع القيمة الإيجارية، وخاصةً لذوي الدخل المحدود، مما يضطر المهاجرين الجدد التجمع في غرفة واحدة يسكنها ثمانية أفراد أوأكثر[188].

10- ومن بين المشاكل مشكلة الإقامة (Residence) والغربة وسوء الأخلاق وعدم استكمال الدراسة.

---

188. أبو كريشة، عبد الرحيم. مرجعه السابق. صـــ 124 – 125.

11- مشكلة العلاج الصحي حيث يمثل المرض أكبرالمشاكل بالنسبة للمهاجرين وبشكلٍ خاصٍ للأشخاص غير المشتركين في التأمين الصحي حيث إنَّ العلاج مكلف وغالي الثمن مثل العمليات الجراحية والتحليلات والأشعات والفحص الدقيق لكل أجزاء الجسم حتى أَنَّ بعض العمليات الجراحية البسيطة قد تُكلِّفُ 7000 دولار أمريكي مما يصعب على المهاجر إجرائها.

12- ومن بين الصعوبات التي تواجه المهاجر البحث عن عمل، وقد تصل مدة هذا البحث إلى سنة كاملة، ثم عندما يتخلص من هذه المشكلة يبحث عن إقامة، والبعض يضطر إلى الزواج من امرأة أمريكية تتقاضى منه حوإلى 5000 دولار، فضلاً عن تحصيل الضرائب منه بعد ذلك، والزواج من أمريكية يصعب أويمنع الزواج من امرأة أخرى لأن القانون الأمريكي يمنع تعدد الزوجات.

13- مشكلة الأبناء حيث يشكل الأبناء الشغل الشاغل لمعظم المهاجرين ذلك لأن المخاطر تحيط بالأبناء من كل جانبٍ، كما أَنَّ ما يتردد على مسامع المهاجرين من قصص حول انحراف بعض الأبناء يُشكِّلُ إنذاراً وخشيةً، وقوع المعصية الذي يخشاها كل مهاجر على أبنائه فتعيش الأسرة حالة من القلق والاضطراب النفسي الاجتماعي نتيجة ما يتعرض له الأبناء من مؤثرات فتاكة من قبل التلفزيون والشارع الأمريكي وجماعة الرفاق من جيران المسكن وغيرهم، هذا بالإضافة إلى ما يعيشه الطالب داخل المدرسة، فبعض الأسر

المهاجرة تمنع أبنائها من النزول إلى الشارع، أو أي أماكن عامة إلا في صحبتهم، وتكمن المخاطر في البث التليفوني الذي يشد ويجذب الكبار قبل الصغار، وهو ذو أثر فعال وخطير على الأطفال فيصاب بعض الأطفال بالاكتئاب، والعزلة والانطواء والبعض الآخر يهرب من المنزل باحثاً عن صديق، مما يسبب القلق والغم والهم والحزن والاكتئاب (Depression) عند الآباء جراء ما يواجه أبنائهم داخل المدرسة وخارجها من إباحية (Libertinism) صارخة بالحياة الجنسية تدرس للطلاب بجانب الاختلاط بين الأبناء في مختلف مراحل التعليم، زد على ذلك أنَّ الثقافة الأمريكية تشجع الحياة الجنسية لدرجة أنها توزع العازل الطبي على طلبة المدارس، يضاف إلى ذلك مشكلة انتشار المخدرات بين الأمريكان السود والأسبان، وقد حاولت الجالية المسلمة التصدي لهذه المشلكة الجنسية بأنشاء مدارس إسلامية إلا أن مصاريف هذه المدارس قد لا يقدر علىها إلا عدد محدود من القادرين[189].

14- كما يواجه أبناء المهاجرين مشكلة أخُري عندما تكون الأم أجنبية حيث يتأثر الأبناء بديانة وثقافة وعادات وتقاليد الأم نظراً لانشغال الأب في العمل ومن الممكن أن تذهب الأم بأبنائها إلى الكنيسة، والأبناء لا يعرفون شيئاً عن الإسلام حيث إن حضانة الأولاد للأم، ومن هنا يمكن القول إنَّ عامل الزواج بأجنبية في بعض الحالات عاملاً رئيسياً في تبني الأبناء للثقافة الأجنبية.

---

189. العضايلة، نضال محمد. 2008م. الشباب العربي في المهجر. عمان، الأردن: منتدى الفكر العربي. صـــــ 196- 197.

وخلاصة القول إنَّ المهاجرين يشعرون بالذل والهوان والقهر والعسف خارج أوطانهم، ويكفينا ما تطالعنا به وسائل الإعلام في هذه الأيام من أنَّ فرنسا تحاول محولات مستميتة في طرد المهاجرين منها رغم كونهم حاصلين على الجنسية الفرنسية، ولم تتوقف إهانة فرنسا للمهاجرين عند هذا الحد، بل امتدت إلى سحب الجنسية، وطردهم كما حدث للغجر وغيرهم. وعلى ذلك فأن المهاجرين قد ورثوا مشاكل حياتية واجتماعية وثقافية نتيجة وجودهم في مجتمع غريب وبعيد كل البعد عن حياتهم وجذورهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية، والإسلامية يضاف إلى ما سبق مشكلات فرعية تكمن في تكوين جاليات عربية وإسلامية في مقابل الكيان الإسرائيلي وتأثيره الواضح على السياسة الأمريكية[190].

آثار هجرة الكفاءات الإفريقية على تطوير التعليم:

يهتم هذا الفصل من بين ما يهتم به بالآثار الناجمة عن هجرة الكفاءات الإفريقية على عملية تطوير التعليم في إفريقيا حيث قد أثر هذا النوع من االهجرة على كثير من الدول الإفريقية فعلى سبيل المثال أكدتْ دراسة لمنظمة الهجرة الدولية إلى أنَّ أثيوبيا تعاني من نقصٍ حادٍ في الكفاءات والعمالة الماهرة والتكنولوجيا والصحة والعلوم الاجتماعية بسبب هجرة أفضل خبراتها في المجالات سالفة الذكر وخاصة في السنوات الأخيرة إذ أنَّ ثلث

---

190. عويس، إبراهيم. 1981م. هجرة المصريين. مرجع سابق. صـــــ 10.

الطلبة الذين غادروا أثيوبيا للدراسة في الخارج لم يعودوا إلى أوطانهم، كما كشفت الدراسة أن خمسين مليون نسمة قد هاجروا من إفريقيا من بينهم العديد من الخبراء وأصحاب الكفاءات الذين تركوا دولهم للحصول على مؤهلات عليا ممتازة. ومن المعلوم أَنَّ دول القارة السمراء تتفاوت كثيراً في مدى مساهمتها في تيار الهجرة، فمصر كذلك هي الخاسر الأكبر نتيجة هجرة الكفاءات من حيث الكم المطلق، ولم يكن ذلك غريب في ضوء تقدم مصر على البلدان الإفريقية في عدد الكفاءات وإفاد أبنائها للدول الغربية المتقدمة طلباً لتحصيل العلم والمعرفة وذلك منذ زمن بعيد وحتى الآن، كما تجدر الإشارة إلى أن 51% من المهاجرين المهنين والفنين من ذوي الكفاءات توجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وجميعهم ينحدرون من أصول نيجيرية[191]. هذا ولا شك أَنَّ نزيف العقول يُشكِّلُ خسارةً فادحةً لمورد حيوي وخطير يضعف من إتاحة الفرص التنموية على' اعتبار أَنَّ هجرة الكفاءات، أو الأدمغة يشكل صمام امان مطلوب وضروري وحيوي للبلد الأصل[192]. وحيال هذا الموضوع يرى البعض أن هذا النوع من الهجرة له فوائد تعود على البلد المصدر من هذه الآراء أن الكفاءات ستنتقل إلى بلد أكثر تقدماً يوفر لها ظروف مادية واجتماعية ومعيشية أفضل، مما يُؤَدِّي إلى ارتفاع مستوى إنتاجية المهاجر، واكتسابه خبرةً جديدةً وخاصةً أنه مُؤَهَّل عقلياً وذهنياً ونفسياً لتقبل واكتساب العلوم والمعارف، فأن

---

191. الضرماني، ربيعة حليقة. 2002م. هجرة الكفاءات العلمية من أفريقيا. طرابلس. ليبيا: مجلة دراسات. العدد الحادي عشر. صـ 104 - 106.

192. إبراهيم، محمد أعبيد الزناتي. 2008م. الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية. الإسكندرية. مصر: المكتب العربي الحديث.ص88.

ذلك أفضل في نظرهم من البقاء في موطنهم الأصلي حيث إنه يساهم في صنع وتقدّم وتطور المعرفة الإنسانية التي تعتبر وعاء عام تستفيد منه البلد الأصلي بإعتبارها عضواً في المجتمع الإنساني، إلاأنَّ هذا الرأي قد جانبة، الصواب، وذلك لأنَّ هناك تناقض واضح بين مصالح البلاد الإفريقية المصدرة للهجرة، وبين مصالح الدول المتقدمة في سياق النظام العالمي الجديد بالإضافة إلى أنه في الغالب ما تكون مساهمة الكفاءات المهاجرة في نتاج المعرفة خاضعة لبراءات اختراع وعلامات تجارية لا تتيح الفرصة للبلد الأصلي الإستفادة الحرة منها، وفي أحيان أُخرى يمنع البلد الأصل من الاستفادة لأسباب سرية خاصة بأمن واستقرار البلد المستقبل للهجرة. وفي الحالات التي لا يوجد فيها عوائق تحول دون التوصل للمعرفة تواجه بلد الأصل عقبة حيث إنّ هذا الإنتاج المعرفي والفني يكون مصمماً لخدمة أهداف واحتياجات بلد المهجر المتقدمة ولا يتوافق مع احتياجات البلدان الإفريقية النامية منها والمتخلِّفة ولن ندخل هنا في جدال حيث إنَّ هذا الجدل[193] (Dialectic) قد حسم على أنَّ هجرة الكفاءات تؤدي إلى خسارة كبيرة اقتصادية، وعلمية وتقنية للبلد المرسلة لتلك الهجرة، هذه الخسارة التي سبقت الإشارة اليها تتمثل في التكلفة التاريخية التي يتكبدها المجتمع في تكوين وتعليم وإعداد ذوي الكفاءات حتي وقت الهجرة وبدون شك

---

193. الجدل Dialectic : هو طريقة في المناقشة والاستدلال وقد أخذ معاني متعددة منها مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب وآخر منهج في التحليل المنطقي أو هو قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات أو هو انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما. ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق : مجمع اللغة العربية. 1983م. المعجم الفلسفي. مرجع سابق. صـــــ59- 60 .

(Doubt) يقابل التكلفة التاريخية لبلد الأصل حصول بلد المهجر على مكاسب يعادل هذه التكلفة التي كان سيتكبدها لو قام هو بتعليم وإعداد هذا المهاجر داخل بلده، ومن المعلوم أن الخسارة التي يتكبدها مجتمع البلد الأصل لم تقف عند هذا الحد، بل تتعداه وتمتد إلى أبعاد اجتماعية، وخاصة إذا كانت البلد الإفريقي فقيراً، والتعليم العالي به يعد ميزة كبيرة لايحصل عليه في العادة إلا نخبة قليلة، ولما كانت هذه النخبة هي في أغلب الأحوال الأقدر ماليا، لا تتحمل إلا نسبة قليلة من تكلفة التعليم العالي، فإن التكلفة الاجتماعية لتعليم الكفاءات المهاجرة تقع على كاهل الغالبية العظمى من أفراد المجتمع الفقير، والتي لم تنل حظها من التعليم العالي، فضلاً عن أنَّ الدول الإفريقية تعاني بصفة عامة من نقصٍ في الكفاءات التي تعد من أهم عناصر التقدَّم والتطور. ومعروف أنَّ هجرة الكفاءات ظاهرة انتقائية، بمعنى أنَّ العناصر الأنشطة والأكثر تأهيلاً وتعليماً وكفاءة هي في العادة التي تزداد أمامها فرص الهجرة، مما يؤدي إلى وجود عجز في الكفاءات في معظم الدول الإفريقية كما يؤثر ذلك على تدني إنتاجية الكفاءات الباقية في المجتمع الأصلي، ومن ثم خفض أواضمحلال الرصيد المعرفي لدى نفس المجتمع. بالإضافة إلى ذلك صعوبة التحكم في نظام الأجور في سوق العمل في البلد الأصلي وضعف السياسات الاجتماعية التي قد ترغب سلطات البلد الآصلي في تحقيقها عن طريق نظام الأجور، مثل: تقليل التفاوت الكبير في الدخول، نظراً لضرورة إدخال الدخل المرتفع المتوقع عن طريق الهجرة في

الحسبان أن نقص الكفاءات يؤدي في بعض الأحيان إلى استقدام كفاءات أجنبية، مما ينتج عنه تكلفة مادية واجتماعية كبيرة، كما يحدث أحياناً أن تعود الكفاءات المهاجرة لبلدها كخبراء أجانب تحت اسم بلد آخر أجنبي، هذا ومن بين الآثار السلبية أيضاً ضعف الانتماء[194] (Belongingness) لأصحاب الكفاءات المهاجرة لحضارة وثقافة البلد الأصلي نتيجة تأثيرهم بالحضارة السائدة في الغرب، أولقرب حضارة البلد الأصل للحضارة الغربية، كذلك ضعف علاقات الانتماء إلى بلد الأصلي على المستوىَ المجتمعي، كما يظهر ذلك في حالة الكفاءات التي تنتمي إلى أقليات مضطهدة. زد على ذلك تسرب ضعف الانتماء إلى الأسرة، تلك التي تصاب بالتفكك والتصدع، والذي يُؤدِّي بدوره إلى خروج الفرد من بلده إلى بلد آخر، يضاف إلى ذلك ارتباط نظام التعليم الإفريقي بالتعليم الغربي مما ينتج عنه خلق، أووجود كفاءات نوعية مطلوبة لسوق العمل الغربي، دون مراعاة احتياج سوق العمل للدول الإفريقية، ويبقى الوصول إلى فرص عمل في الغرب طموحاً فردياً مشروعاً، ولهذه القاعدة استثناءات تمثلها الكفاءات التي تتبنى دور المثقف الملتزم الذي يظل في وطنه يكافح من أجل غداً أفضلا. وتجدر الإشارة إلى أَنَّ هناك عملية إغراء وسرقة متعمدة من قبل المراكز النشطة في الغرب الرأسمالية خاصة عبر الشركات عابرة الجنسيات، والتي تشكل القطب الرئيسي في نظام العولمة وتعمل على اختطاف أصحاب الكفاءات من

---

194. الإنتماء Belongingness : هو انتماء الفرد إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها كالأسرة أو النادي أو الشركة ذي المركز الممتاز : بدوي، أحمد زكي. مرجعه السابق. صـــــ 39.

القارة السمراء وهذه العملية في واقع الحال تمثل نشاط طبيعي في ظل التنظيم الرأسمالي للنشاط الاجتماعي والإقتصادي للعالم بأثره في ظل العولمة، وفي ظل سهولة عملية الاتصال عبر العالم وعلى ذلك فأن نظام التعليم الإفريقي لاينتج كفاءات مناسبة للاحتياجات المحلية بل مناسبة للدول الغربية فبعض الدول الإفريقية تقوم مناهجها ومقرارتها الدراسية على المواءمة لظروف العمل في البلدان المتقدَّمة والبعض الآخر يستورد مناهج ومقررات دراسية غربية تحت شعار تطوير التعليم، هذا ولا شك أنَّ التعليم بالخارج هوأحد المنافذ الرئيسية التي يتم عن طريقها تسرب الكفاءات من الدول الإفريقية إلى الدول الغربية. فمن هذا الطريق يكتسب الدارسين بالخارج مهارات تناسب سوق العمل الغربي بطريقة مباشرة، ولا يتوقف هذا الاكتساب عند هذا الحد، بل أنهم يكتسبون أيضاً قيم غربية مخالفة لقيمنا الإفريقية كما يكتسبون أنماط الحياة السائدة في المجتمع الغربي عن طريق الخبرة والمعايشة الفعلية من عادات وتقاليد وأعراف[195] (mores) مختلفة عما ألفوه في دولهم الإفريقية، ونلاحظ ذلك على من يعود من الخارج وقد اعتنق أفكاراً وارآء مخالفة لما تربَّ عليه في بيئته المحلية[196].

---

195. أعراف mores : هي السنن والمعايير الإجتماعية للسلوك الخلقي للجماعة ويلتزم الأفراد بالأمتثال لها مع تعرض من يخرج عليها للجزاءات غير الرسمية وتعتبر الأعراف ضرورية لرفاهية الجماعة: بدوي، أحمد ذكي. مرجعه السابق. صـــــ 274.

196. الاتحاد البرلماني العربي. 2002م. القاهرة. مصر: مجلة البرلمان العربي. العدد 1982م. صـــــ 4.

سبل مواجهة هجرة الكفاءات وعلاج آثارها :

أنَّ الخطورة التي تشكلها هجرة العقول العربية والإفريقية على المخططات التنموية لتلك الدول تتطلب إيجاد حلول للحد من هذه الظاهرة تمهيداً لوقفها، والحل الأمثل هو في وضع استراتيجية عربية وإفريقية متكاملة للتصدي لهذه المشكلة وينبغي أن تشارك في وضع هذه الإستراتيجية كل من جامعة الدول العربية ومنظمة العمل العربية، والمجلس الإقتصادي والاجتماعي العربي ومنظمة الاتحاد الأفريقي، والمنظمات غير الحكومية المهتمة بهذا الموضوع مع الاستفادة من خبرات منظمة اليونسكو، ومنظمة العمل الدولية التي تمتلك خبرات ودراسات جديدة حول هذه المشكلة، حيث إنَّ هذه المشكلة، أصبحت ظاهرة عامة، ومعالجتها تحتاج إلى وقفة جادة وموضوعية، وموقف شمولي يلتمس تعقيدات الواقع العربي والإفريقي، ويستهدف الإحاطة بكل تناقضاتها، ومن ثم وضع الحلول الناجحة المتعلقة بهذه الظاهرة لكونها تعكس خطراً متواصل التأثير، وهو مرشح في ظل تأثيرات العولمة نحو التزايد. وينبغي معالجة الدوافع المختلفة لهذه الظاهرة، سواء أكانت سياسية أواقتصادية أواجتماعية أوفكرية وغيرها علماً بأن العوامل الاقتصادية كانت ولاتزال، تحتل الأولوية في التأثير المباشر على العقول والكفاءات، ولاسيما أن الأشخاص الأكثر تأثراً بهذا العامل هم الأشخاص الأفضل إعداداً والأكثر كفاءة لتسير أجهزة الإنتاج والتعليم والتدريس في الوطن العربي والقارة الأفريقية. مما يتطلب إيجاد سبل علمية وعملية لأساليب

التعامل الإنساني والحضاري مع الكفاءات العلمية، وبحس وطني مخلص يستهدف على أقل تقدير، تقليل هجرة العقول العربية والإفريقية وإزالة قسماً كبيراً من العقبات التي تواجهها، ومن ثم معالجة المشاكل التي تعترض مسيرتها العلمية، عبر إجراءات عمليات عديدة.